دوافع الاستيطان ومحاسنه!

علاوةً على العامل الديني، الذي يعتبره الإسرائيليون، الدافع الأول للاستيطان، حيث تشير آيات في كتابهم المقدس، كانوا قد اقتنعوا بواسطتها، بأنّ إقامة دولة إسرائيل، إنّما هي ما وعد الرّب لإبراهيم عليه السلام، وأنّ هدفها هو تحقيق الخلاص للشعب اليهودي، فإن لدينا ثلاثة عوامل رئيسيّة (دنيوية- سياسيّة)، أثرت بشكلٍ إيجابي على تقدّم البرامج الاستيطانية، والتي تمّ هندستها منذ قيام الدولة وحتى هذه المرحلة التي نتواجد بها، والتي تهدف إلى تغطية مجمل نواحي الضفة الغربية تقريباً.

يعود العامل الأول، إلى الصهيونية العالمية، التي رأت أن حياة إسرائيل واستمرارها، تكمن في الاستيطان، ما يعني التمدد داخل ما يسمى بأرض إسرائيل، فالجمود والانكماش هما بمثابة نهاية الدولة، وفي ذات الوقت، كان للاستيطان دوراً بارعاً، لإرغام العرب على التفاوض مع إسرائيل، الذين كانوا قد أقسموا بحرمة التفاوض معها، كما حدث باتجاه مستوطنات سيناء وقطاع غزة، عندما تبنّت إسرائيل فكرة النائبة الإسرائيلية "غيؤلا كوهين" أوائل السبعينات الماضية، بأن الاستيطان وحده، هو الذي سيجلب العرب إلى غُرف المفاوضات المُعتمة.

كما يمكن اعتباره ضمن السياق، ترجمةً لسياسة الاستعمار والتطرف المتجذّرة في عقلية الإسرائيليين وعلى اختلافهم، مع ملاحظة أن اليسار الإسرائيلي، كان ولا يزال أكثر تطرّفاً من اليمين ذاته، الذي يُوصف عادةً بالتشدد، وقد حفُلت الآونة الأخيرة، بمواقف يسارية كانت مساوية لمواقف اليمين بحذافيرها، ومن أمثلتها، قيام زعيم اليسار ورئيس حزب العمل "آفي غبّاى" بتفضيل القدس يهودية موحّدة، على اتفاق سلام مع الفلسطينيين والعرب بشكلٍ عام.

وبالانتقال إلى العامل الثاني، نستطيع القول، بأنه يكمن في تكاسل الأنظمة العربيّة بالنسبة للقضية الفلسطينية، باعتبار تكاسلها هو من شجّع على استمرار وتسارع النشاطات الاستيطانية، وسواء كان نتيجة لنسيانها كلام الله تعالى: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ

فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)، (الممتحنة/ 9)، أو كان نتيجة لتسلل الملل إلى صدورها، من أن الجري ضدّ هذه النشاطات بات مُكلفاً، وغير مضمون النتائج، ومن شأنه تعطيل مسيرة حياتها، أو إلى الانشغال بالصراعات والحروب والخلافات الأخرى الواقعة فيما بينها.

فخلال السنوات الأخيرة، بدت وكأنها اكتفت في مواجهة تلك النشاطات، بنشر عدد من التنديدات والاعتراضات الشاحبة، والتي اعتادت إسرائيل عليها، وأصبحت وكأنها تحثّها على مواصلة الاستيطان، وكنّا قد رأينا كيف قابلت إسرائيل، قرار مجلس الأمن 2334، والذي تم تمريره في الأيام الأخيرة من ديسمبر 2016، إذ لم يُثنها عن برنامجها الاستيطاني ساعة واحدة، وكان الهاجس الوحيد والأكبر لديها، هو حركة (السلام الآن) الإسرائيلية المناهضة للاستيطان، والتي عادةً ما تضطر القادة في إسرائيل، إلى الخشية من تطورها داخل المجتمع الاٌسرائيلي.

أمّا العامل الثالث، فيمكن تحميله لليمين الأمريكي المحافظ، باعتباره هو من شجّع على البناء الاستيطاني- وإن كان بلُغة سرّية- بحجّة خدمته للاستمرار الإسرائيلي، وفي نفس الوقت لا يُعيق عملية السلام، وكان قرار الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب"، بأن القدس عاصمة إسرائيل، قد توّح فكر المحافظين الأمريكيين بجدارة، باعتباره أعطى قفزة قويّة، أمام تكثيف العمليات الاستيطانية، إضافةً إلى قيام حزب الليكود الحاكم، باستخراج قرار يقضي بضمّ الضفة الغربية، كمقدّمة لفرض السيادة الإسرائيلية عليها.

إسرائيل من غير شك، تعرف خطورة نشاطاتها الاستيطانية، باعتبارها مُنافية للقوانين والشرائع الدولية، لكنها في نفس الوقت، لديها توقعات مُفعمة بالحقيقة، بأن تلك القوانين سوف لن يكون لها أثراً في المستقبل، بسبب اعتقادها بأن الأنظمة العربيّة نفسها، لا بسبب أنها لن يكون بمقدورها المقاومة بها أو بمساعدتها، بل إنها لن تقوم أصلاً بتفعيلها وعن طيب خاطر، وذلك – حسب التجارب الفائتة- لاقتناعها لاحقاً بالرؤية الإسرائيلية، والتي تعتبر أن الاستيطان في حد ذاته، هو للصالح الفلسطيني تماماً، وليس بأقل ممّا هو للإسرائيلي، فبالإضافة إلى اعتماده على شق الطرق والممرات في أنحاء الضفة الغربية، والتي تفيد المواطنين الفلسطينيين في تنقّلاتهم، فإنه يفتح مجالات عمل ضخمة أمامهم، تُغدق عليهم سهولة الحياة، وتعمل على تحسين اقتصادهم.